﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: 84]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ربطُ بيانِ نِعَمِ اللهِ على إبراهيمَ بِتَفَرُّعِ النُّبوَّاتِ مِن نسلِهِ الكريمِ

لمّا عدَّدَ تعالى نعمَهُ على إبراهيمَ ﷺ، فذكرَ إيتاءَهُ الحُجَّةَ على قومِهِ، وأشارَ إلى رفعِ درجاتِهِ؛ ذكرَ هنا ما مَنَّ بهِ عليهِ مِن هِبَتِهِ لهُ، فتفرَّعت منهُ أنبياءُ بني إسرائيلَ، ومن أعظم المنن أن يكونَ من نسلِ الرَّجلِ الأنبياءُ والرُّسلُ[1]، ومنَ المناسبةِ أنَّه بعد أن بيَّنَ اللّهُ تعالى "هدايةَ إبراهيمَ ﷺ، والتَّفكيرَ المستقيمَ الَّذي هداه إلى ربِّه، وأنَّ اللّهَ رفعَهُ بذلكَ الإدراكِ المستقيمِ ليكونَ هاديًا مُرشدًا، ذكرَ اللّهُ ﷻ ذرِّيَّتَهُ منَ النَّبيِّينَ الهداةِ المهديِّينَ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَوَهَبْنَا﴾: (وهب) أصلٌ يدلُّ على حَوْزِ النَّافعِ بلا مقابلٍ، الهِبَةُ: أن تجعلَ ملكَكَ لغيرِك بغيرِ عِوَضٍ، يقالُ: وَهَبْتُهُ هِبَةً ومَوهِبَةً ومَوهِبًا، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الأنعام: 84]، وقال تعالى في قصَّةِ مريمَ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: 19]، "نسبَ الملَكُ إلى نفسِهِ الهبةَ، لمّا كان سببًا في إيصالِهِ إليها، وقد قُرِئَ (لِيَهَبَ لَكِ)، فنسبَ إلى اللّهِ تعالى على الحقيقةِ، والأوَّل على التَّوسُّعِ"[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: 8] هو كثيرُ الهبةِ؛ أي: العطيَّة من غيرِ استحقاقٍ عليه، بل هو تفضُّلٌ منه على خلقِهِ[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/573.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/51، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/170، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2573.

(3) سميح عاطف الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (وهب).

(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وهب).

2) ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: (ذرأ) أصلٌ يدلُّ على الشَّيءِ يُبذرُ ويُزرعُ، ذرأْنا الأرضَ؛ أي: بذَرناها. ذرأَ اللّهُ الخلقَ يذرؤُهُمْ ذرْءًا: خَلَقَهُمْ، ومنه: الذُّرِّيَّةُ، وهي نَسلُ الثَّقَلَينِ، إلَّا أنَّ العربَ تركَت همزَها، والجمعُ: الذَّراريُّ[1]، والذَّراريُّ جمع ذرِّيَّة، وهي من كان دونَ البلوغِ منَ الأولادِ، والمرادُ غير المقاتلةِ من أولادِ المحاربينَ[2]، وقيل: (ذرِّيَّة) اسمٌ لنسلِ الإنسِ والجنِّ، وتُطلقُ على الآباءِ والأبناءِ ومَن تناسلَ منهم[3]، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرُ اللّهُ تعالى أنَّه رزقَ إبراهيمَ إسحاقَ ويعقوبَ، ووَفَّقَ كلًّا منهما للصِّراط المستقيم، ووفَّقَ نوحًا من قبلِهم، ووفَّقَ داودَ وابنَه سليمانَ وأيُّوبَ ويوسفَ وموسى وأخاهُ هارون ﷺ، ثمّ بيّنَ جلّ شأنّ أنّ مثل هذا الجزاء الَّذي جازينا بهِ الأنبياءَ على إحسانِهم، نجازي بهِ المحسنينَ من غيرِهم على إحسانِهم[4]، "والمقصودُ من هذهِ الآياتِ تعديدُ أنواعِ نعمِ اللّهِ على إبراهيمَ ﷺ، جزاءً على قيامهِ بالذَّبِّ عن دلائلِ التَّوحيدِ، فقال: ووهبْنا له إسحاقَ لِصُلبِهِ، ويعقوبَ بعدَهُ مِن إسحاقَ"[5].

بيانُ إنعامِ اللهِ على إبراهيم بإصلاحِ ذُرّيّته وجعلهم من الأنبياء والمرسلين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ عطفِ جملة: ﴿وَوَهَبْنَا﴾ على ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾:

عطفَ جملةَ ﴿وَوَهَبْنَا﴾ على جملة: ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾؛ "لأنَّ مضمونَها تكرمةٌ وتفضيلٌ"[6]، فلمَّا ذكرَ أنَّه أيَّدَهُ على قومِهِ بالحجَّةِ عطفَ عليه

في عطفِ هبةِ الذُّرِّيَّةِ على إيتاءِ الحجَّةِ بيانُ إكرامِ إبراهيمَ بذلك

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرأ).
(2) هامش التحقيق: الجامع المسند الصّحيح للبخاري، تح: محمّد زهير النّاصر: 2/15.
(3) هامش التحقيق: الجامع المسند الصّحيح للبخاري: 4/163.
(4) جماعة منَ العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/138.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/51.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.

تكريمَه بالذُّرِّيَّةِ المباركةِ، زيادةً في التَّفضُّلِ عليه. ومجملُ النِّعَمِ منَ الحكمةِ والحجَّةِ وما يصبو النَّاسُ إليه من مالٍ ومتاعٍ وحيازةٍ، لا تكتملُ إلَّا بوجودِ الذُّرِّيَّةِ الصَّالحةِ الَّتي بصلاحِها تقرُّ العينُ، ويطمئنُّ القلبُ، وتنتظمُ الحياةُ، وقد وهبَ اللهُ لإبراهيمَ ذرِّيَّةً صالحةً على كبرِ سنِّهِ، بعد أن طلبَ منَ اللهِ تمامَ النِّعمةِ بذلك.

نكتةُ التَّذييلِ بذكرِ الذُّرِّيَّةِ الصَّالحةِ النَّافعةِ:

التَّذييلُ بهبةِ الذُّرِّيَّةِ للتَّصريحِ ببقاءِ العَقِبِ، وعدمِ انقطاعِ الصَّلاحِ

بيَّن ﷻ بهبتِه الذُّرِّيَّةَ الصَّالحةَ لإبراهيمَ عليه السلام أنَّ الصَّلاحَ باقٍ بينَ النَّاسِ، وأنَّ سبيلَ الدَّعوةِ إلى اللهِ لا ينقطعُ، فإنَّ موقعَ "هذه الجملة – وإن كانت معطوفةً – هو موقعُ التَّذييلِ للجُملِ المقصُودِ منها إبطالُ الشِّركِ، وإقامةُ الحُجَجِ على فسادِهِ، وعلى أنَّ الصَّالحينَ كلَّهم كانوا على خلافِهِ"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بضميرِ العظمةِ في: ﴿وَوَهَبْنَا﴾:

تعظيمُ الواهبِ آيةٌ على عِظَمِ الهبةِ ونفاستِها

عظَّمَ السِّياقُ الهبةَ بإسنادِها إليه بضميرِ التَّعظيمِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾؛ "أي: لخليلِنا عليه السلام، بما لنا منَ العظمةِ"[2]؛ وتعظيمُ الواهبِ دليلٌ على عظمِ الهبةِ، وعطاءُ اللهِ لا كفاءَ لامتنانِه، ولا نهايةَ لإنعامِهِ، فهو المعطي على قدرِ كمالِهِ، وعطاؤُهُ محضُ تكرمةٍ؛ فقد وهبَ الولدَ، وضَمِنَ نسلَ التَّعاقبِ، ووهبَ استمرارَ النُّبوَّةِ في بيتِ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ، وكان من نسلِهِ أنبياءُ بني إسرائيل، من جدِّهم إسحاق، ومن نسلِهِ خاتمُ الأنبياءِ محمَّد ﷺ من جدِّهِ إسماعيل؛ وكلاهما هبةُ اللهِ لخليلِهِ.

بلاغةُ الكنايةِ في وصفِ إيتاءِ الذُّرِّيَّةِ بأنَّه هبةٌ:

عبَّر ﷻ عن إيتاءِ الذُّرِّيَّة إلى إبراهيمَ بالهبةِ، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾؛ لأنَّه وُلِدَ له "على الكبرِ حيثُ لا يولدُ لمثلِهِ ولا لمثلِ زوجتِهِ"[3]؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/170.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/170.

بيانًا لتفضُّلِهِ عليهم، فهو "هنا كنايةٌ في التُّفضلِ والتَّيسيرِ"[1]، وقد وهبَ اللهُ لإبراهيمَ إسحاقَ بمعجزةٍ، فقد كان إبراهيمُ وامرأتُه يرجوانِ الولدَ، ويلحَّان على الله في الدُّعاء، من أجلِ ذلك، وحينما زارتهم الملائكةُ وبشَّروهما بإسحاقَ، ومن وراءِ إسحاقَ يعقوبُ، كانتِ البشارةُ هبةً عظمى؛ لأنَّها بشارةٌ بالولدِ وولدِ الولدِ، وهذا أمرٌ لا يتأتَّى لأحدٍ سوى الله عالم الغيبِ والشَّهادةِ، لذلك عبَّرَ القرآنُ عن الدَّهشةِ الممزوجةِ بالبهجةِ في قولِ امرأتِه: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 72 - 73].

الإخبارُ بالهبةِ عن الذُّرِّيَّةِ دلالةٌ على محضِ التَّفضُّلِ

معنى اللَّامِ في (له) من قولِهِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾:

دلَّتِ اللَّامُ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ على التَّمليكِ والتَّخصيصِ؛ للدَّلالةِ على اختصاصِ إبراهيمَ عليه السلام بهذه الهبةِ، وقد ذكرَ السِّياقُ قولَه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾؛ "أي: لإبراهيم عِوضًا عن قومِه لمّا اعتزلَهم وما يعبدونَ، ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾؛ أي: ولدًا وولدَ ولدٍ؛ لتقرَّ عينُه ببقاءِ العقبِ"[2]، وهذا العطاءُ المتدفِّقُ بالتَّكرمةِ والتَّجلَّةِ خُصَّ به إبراهيمُ، ولم يُذكرْ في القرآن مَن وُهِبَ مثلُه منَ الأنبياءِ، ولا من غيرِهم.

دلَّتِ اللَّامُ على اختصاصِ إبراهيمَ بهذهِ الهبةِ

نكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿لَهُۥٓ﴾ على المفعولِ بِهِ:

في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ قدَّم الجارَّ والمجرورَ على المفعول به، وتقديرُ الكلام: (وهبنا إسحاقَ ويعقوبَ له)؛ وذلك اهتمامٌ بالموهوبِ لهُ، فالسِّياقُ يجري في بيانِ الإنعامِ على إبراهيمَ، فهو أولى بالتَّقديم منَ الهبةِ ذاتِها.

العنايةُ بالموهوبِ لهُ تقتضي التَّقديمَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 4/416.

دلالةُ التَّعبيرِ بهبةِ الحفيدِ يعقوبَ لإبراهيمَ عليه السلام:

عبَّر بهبةِ يعقوبَ إشارةً إلى أنَّه وُلِدَ في حياتِهِ، وإظهارًا لمزيدِ الإكرامِ

قرنَ بينَ إسحاقَ وابنِهِ يعقوبَ بالهبةِ؛ دلالةً على أنَّ إبراهيمَ عليه السلام قد طالَ عمرُهُ حتَّى أدركَ بلوغَ حفيدِهِ، "ومعنى هبةِ يعقُوبَ لإبراهيمَ: أنَّه وُلِدَ لابنِهِ إسحاقَ في حياةِ إبراهيمَ، وَكَبرَ، وتزوَّجَ في حياتِهِ، فكان قُرَّةَ عينٍ لإبراهيمَ"[1].

الغرضُ من تقديمِ ذكرِ إسحاقَ ويعقوبَ في السِّياقِ:

تقديمُ ذكرِ الأبناءِ يلائمُ الفطرةَ؛ لحبورِ الأبِ بأبنائِهِ عادةً

قدَّم ذكرَ ابنِهِ وحفيدِه جريًا على طبائعِ النَّاسِ باحتفائِهم بأبنائِهم، والابنُ يُطلَقُ على الحفيدِ مهما نزلَ، فابتدأَ سبحانَه "بهما؛ لأنَّ السِّياقَ للامتنانِ على الخليلِ عليه السلام، وهو أشدُّ سُرُورًا بابنِهِ الَّذي مُتِّعَ به، ولم يُؤمَرْ بفراقِهِ، وابنِ ابنِهِ الَّذي أكثرُ الأنبياءِ الدَّاعينَ إلى اللهِ من نَسلِهِ ومِن خواصِّهِ"[2].

علَّةُ عدمِ ذكرِ (إسماعيلَ مع إسحاقَ) في قولِهِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾:

هبةُ إسحاقَ أعلى إعجازًا لِفَقدِ أُمِّهِ الأسبابَ المعهودةَ في الإنجابِ

لم يُذكر إسماعيلُ عليه السلام معَ إسحاقَ في أمرِ الهبةِ، بل أخَّرَهُ إلى الآياتِ اللَّاحقةِ، "وإنَّما ذُكرَ إسحاقُ دون إسماعيلَ؛ لأنَّه هو الَّذي وهبهُ اللهُ تعالى بآيةٍ منه بعد كِبَرِ سنِّهِ وعقمِ امرأتِهِ سارةَ، جزاءَ إيمانِه وإحسانِه وكمالِ إسلامِهِ وإخلاصِه، بعد ابتلائِهِ بذبحِ ولدِهِ إسماعيلَ، ولم يكن لهُ ولدٌ سواهُ على كبرِ سنِّهِ"[3]، فإسماعيلُ "لم يُعدَّ في موهبتِه؛ لأنَّ هبةَ إسحاقَ كانت في كِبَرِهِ وكِبَرِ زوجِه، فكانَت في غايةِ الغَرابةِ"[4]، وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّه لم يُذكر إسماعيلُ هنا؛ "لأنَّ المقصودَ بالذِّكر هاهنا أنبياءُ بني إسرائيلَ، وهم بأسرِهم أولادُ إسحاقَ ويعقوبَ، وأمَّا إسماعيلُ فإنَّه ما خرجَ من صُلبِهِ أحدٌ منَ الأنبياءِ إلَّا محمَّدٌ ﷺ"[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/170.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/452.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/89، والآلوسّي، روح المعاني: 4/201.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/51، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/573.

نكتةُ الفصلِ في قولِهِ تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾:

جاءت جُملةُ ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ من غيرِ أن يعطفَ على قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾؛ فلم يقل: (وكُلًّا هَدينا)؛ فالهدايةُ تأكيدٌ للنِّعمة[1]، فإنَّ مجرَّدَ الذُّرِّيَّةِ لا تعدُّ نعمةً في عُرفِ الصَّالحينَ حتَّى يتَّصفَ الأبناءُ بالصَّلاح، فعندها تكونُ النِّعمةُ على التَّمام؛ لذا أكَّدَ اللهُ تعالى تلك النِّعمةَ على إبراهيمَ ﷺ، وجاء الدُّعاءُ بطلبِ الذُّرِّيَّةِ في القرآنِ مَقرونًا بالصَّلاحِ، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصّافّات: 100]، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: 38]، وقال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: 5 - 6]، وهكذا في كلِّ مواطنِ الطَّلبِ للذُّرِّيَّةِ، لا تخلو من إشارةٍ إلى الصَّلاحِ والطِّيبةِ والرِّضا.

نعمةُ اللهِ بالهدايةِ ونعمتُهُ بالوهبِ، كلتاهما نعمةٌ لذاتِها

حذفُ المضافِ إليهِ في قولِهِ: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾:

حُذِفَ المضافُ إليه تعويلًا على ظهورِ المعنى، وإيجازًا في الألفاظ، والتَّقدير: "كلُّ هؤلاء هَدَيناهم، يعني: إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ، فحَذَفَ المضافَ إليه لظهورِهِ، وعَوَّضَ عنهُ التَّنوينَ في ﴿كُلًّا﴾ تنوينَ عِوَضٍ عنِ المضاف إليه"[2]، والإيجازُ مَسلكٌ من مسالك البلاغةِ والإعجازِ رفيعٌ.

حَذْفُ المضافِ إليه تعويلًا على ظهورِهِ من سُنَنِ البُلغاءِ في الإيجازِ

علَّةُ تقديمِ المفعولِ بهِ في قولِهِ: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾:

قولُه تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾، وأصلُ الكلامِ: (هَدَينا كلًّا)، فقدَّم المفعولَ بهِ عَلى الفعلِ "ليشملَ الكلامُ إيَّاهما"[3]، وفيه نصٌّ على أنَّ الهدايةَ شملَتهما فردًا فردًا؛ "أي: كُلَّ واحدٍ منهما ﴿هَدَيْنَا﴾ لا

قدَّمَ المفعولَ بهِ اهتمامًا بإسحاقَ ويعقوبَ وبالهدايةِ المذكورةِ

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/90، والآلوسّي، روح المعاني: 4/201.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/170.

أحدَهُما دونَ الآخَرِ"[1]، ويُضافُ إلى ذلك أنَّ هذا التَّعبيرَ يدلُّ على استقلالِ كلٍّ واحدٍ منهما بهدايةٍ، فلم تكنْ هِدايتُهما تبعًا لبعضِهما؛ إعلامًا باستحقاقِهما الهدايةَ، وبيانًا لفضلِهما، قال في تفسيرِ المنارِ: "وتقديمُ ﴿كُلًّا﴾ على ﴿هَدَيْنَا﴾؛ لإفادةِ اختصاصِ كلٍّ منهما بما ذكرَ منَ الهدايةِ على سبيلِ الاستقلالِ لا التَّبعِ؛ لأنَّ كُلًّا منهما كان نبيًّا هاديًا مهديًّا"[2].

إيثارُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾:

آثـرَ التَّـعـبـيرَ بـ (كـــلّ) تـبـيـيـنًـا لاسـتـحـقـاقِـهِ إيَّاها بذاتِهِ

في قولِهِ تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ عبَّرَ عن هدايتِهما على وجهِ الاستقلالِ؛ "أي: كلَّ واحدٍ من إسحاقَ ويعقوبَ هَدَينا"[3]، ففي التَّعبيرِ بـ (كلٍّ) إشارةٌ إلى استقلالِ الهدايةِ بكلِّ واحدٍ منهما؛ تفخيمًا لشأنِ الهدايةِ، وبيانًا لاستحقاقِهِ إيَّاها بذاتِهِ، وليس لكونِهِ من ذرِّيَّةِ إبراهيمَ وحسب، وفي هذا إعلامٌ بفضلِهما، فقولُه تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ "أي: أعطى اللّهُ تعالى كلَّ واحدٍ منهما هدايةً قائمةً بذاتِها؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ كان نبيًّا مبعوثًا، وتلك مَكرمةٌ لإبراهيمَ أن جعلَ ابنَهُ وحفيدَهُ نبيِّين، كلٌّ له هدايةٌ وبعثةٌ"[4].

فائدةُ الاعتراضِ بذكرِ هدايةِ إسحاقَ ويعقوبَ:

الإنـعـامُ بـهـبـةِ الـذُّرِّيَّـةِ لا يتمُّ إلَّا بـالـهـدايـةِ؛ تـنـويـهًـا بـشـأنِ هدايتِهما

صرَّح بهداية إسحاق ويعقوب في قوله سبحانه ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾، بعد أن ذكرَ أنَّه وهبَهما لإبراهيمَ عليه السلام؛ لأنَّ "النِّعمةَ لا تتمُّ إلَّا بالهدايةِ"[5]، فالذُّرِّيَّةُ الموهوبةُ لا تكونُ نعمةً، ما لم تكن مَهديَّةً[6]، فقوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ "اعتراضٌ، وفائدةُ ذكرِ هدايتِهما: التَّنويهُ بإسحاقَ ويعقوبَ، وأنَّهما نبيَّان نالا هُدى اللّهِ كهَديِهِ إبراهيمَ، وفيهِ أيضًا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/157، والآلوسّي، روح المعاني: 4/200.
(2) رضا، تفسير المنار: 7/487.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/573.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2575.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/170.
(6) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/89.

إبطالٌ للشِّركِ، ودمغٌ لقريشٍ ومُشركي العربِ، وتسفيهٌ لهم بإثباتِ أنَّ الصَّالحينَ المشهورينَ كانوا على ضدِّ مُعتَقَدِهم"[1].

علَّةُ حذفِ المهديِّ إليه في قولِهِ: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾:

ذكرَ الهدايةَ على وجهِ الإطلاقِ تعميمًا لمَا هُدوا إليه، فلم "يذكرِ المهديَّ للتَّعميم، أو لظهورِ أنَّه الَّذي أُوتي إبراهيم، وأنَّهما مُقتديان به"[2]، وفي ذلك منَ التَّفخيمِ في شأنِ هدايتِهِ لهم ما لا يخفى؛ إذ التَّعميمُ دليلُ الاتِّساعِ، والمرادُ به هنا التَّفخيمُ.

حُـذِفَ مُتعلَّقُ فعلِ الهدايةِ تعميمًا وتفخيمًا لشأنِ هدايتِهِ لهم

بلاغةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ على جملةِ: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ عطفَ على الجملةِ قبلَه؛ "أي: وهدينا نوحًا من قبلِهم، وهذا استطرادٌ بذكرِ بعضِ مَن أنعمَ اللهُ عليهم بالهدى، وإشارةٌ إلى أنَّ الهدى هو الأصلُ"[3]، وفيه إشارةٌ إلى تعظيمِ سلفِ إبراهيمَ وتشريفِهم؛ فلمَّا "ذكرَ شرفَ أبناءِ إبراهيمَ ذكرَ شرفَ آبائِه، فذكرَ نوحًا الَّذي هو آدمُ الثَّاني"[4]، وإنَّما ذكرَ نوحًا عطفًا على أبناءِ إبراهيمَ؛ "لأنَّ قومَهُ عبدُوا الأصنامَ، فذكرهُ ليكونَ له به أسوةً، وإمَّا أنَّه لمّا ذُكرَ إنعامه من جهة الفرعِ؛ ثُنِّي بذكرِ النِّعمةِ من جهةِ الأصلِ"[5]، فنوحٌ عليه السلام هو من أجلِّ أجدادِ إبراهيمَ، وأوَّلِ مَن نهى عن عبادةِ الأصنام[6]، والمرادُ بذلك "بيانُ كرامةِ إبراهيمَ عليه السلام بحسبِ الأولادِ، وبحسبِ الآباءِ"[7]؛ أي: أنَّه تنويهٌ بالأصولِ الأصيلةِ، والفروعِ الأثيلةِ، وهو بيانٌ أنَّ الهدايةَ أصلٌ مُستمرٌّ في السَّادةِ الأنبياءِ، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: 58].

تعدادُ الأنبياءِ في سلكِ الهدايةِ تعظيمٌ لشأنِ الهدايةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.
(2) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/176.
(3) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/177، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/337.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/573.
(5) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/89.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/171.
(7) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/52.

علَّةُ تقديمِ المفعولِ بهِ على فعلِهِ في: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾:

قدَّمَ المفعولَ بهِ على الفعلِ اهتمامًا بالمقدَّمِ، "وانتصبَ ﴿وَنُوحًا﴾ على أنَّه مفعولٌ مُقدَّمٌ على ﴿هَدَيْنَا﴾ للاهتمامِ"[1]، وقد ذكرَ أنَّ نهجَ إبراهيمَ في الهدايةِ لم يكنْ جديدًا، بل هو نهجٌ مُتوارثٌ كابرًا عن كابرٍ، ولذلك قال: "وهَدَينَا جدَّهُ نوحًا إلى مثلِ ما هَدينَا له إبراهيمَ وذرِّيَّتَه، فآتيناه النُّبوَّةَ والحكمةَ وهدايةَ الخلقِ إلى طريقِ الرَّشادِ"[2].

قدَّمَ المفعولَ بهِ (نوحًا) للعنايةِ بالمهديِّ

دلالةُ التَّعبيرِ بضميرِ التَّعظيمِ في الفعل ﴿هَدَيْنَا﴾:

أسندَ الهدايةَ إلى ضميرِ التَّعظيمِ فقال: ﴿هَدَيْنَا﴾؛ تعظيمًا للهدايةِ الَّتي تأتي منَ اللهِ تعالى؛ "أي: بما لنا منَ العظمةِ من بين ذلك الجيلِ الأعوجِ"[3]؛ وهدايةُ اللهِ مَنهجٌ قويمٌ، وطريقٌ مستقيمٌ، وحمايةٌ عُلويَّةٌ، ورعايةٌ كلّيَّةٌ؛ فمَنِ اهتدى بهدى اللهِ فلا يخافُ دركًا، ولا يخشى.

تعظيمُ الهدايةِ لعظمةِ الهادي

فائدةُ التَّعبيرِ بقبليَّةِ هداية نوحٍ:

صرَّحَ في الآية بأنَّ نوحًا كان قد هُدي قبلَهم، وقبليَّةُ نوحٍ معلومةٌ، فلو اكتفى بقولِهِ: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ لتمَّ المعنى، فقال: ﴿مِن قَبْلُ﴾ للدَّلالةِ على حالِ نوحٍ، "وفائدةُ ذكرِ هذا الحالِ التَّنبيهُ على أنَّ الهدايةَ مُتأصِّلةٌ في أصولِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ"[4]، والتَّأكيدُ على ذلك كقولِكَ: رأيتُه بعيني؛ إذْ ما حكاه السِّياقُ يقينٌ لا يداخلُه ريبٌ.

التَّعبيرُ بهدايةِ نوحٍ قبلَهم دالٌّ على أنَّ الهدايةَ مُتأصِّلةٌ في أصلِهم

دلالةُ قطعِ ﴿قَبْلُ﴾ عنِ الإضافةِ:

في قولِهِ تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ حَذفَ المضافَ إليه، وقطعَ ﴿قَبْلُ﴾ عنِ الإضافةِ، فلم يقُل: (من قبلِهم)؛ وذلك "لتراخي

حُذِفَ المضافُ إليه للدَّلالةِ على بُعدِ زمانِهِ عن زمانِهِم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/338.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/181.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/171.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/338.

زمانِهم كثيرًا عن زمانِهِ"[1]، فالهوَّةُ سحيقةٌ بين عصرِ إبراهيمَ وأبيهِ الثَّاني بعد آدمَ الَّذي هو نوحٌ ﷺ، فكان القطعُ عنِ الإضافةِ مُؤذِنًا ببُعدِ الزَّمنِ، وبصعوبةِ تحديدِ ذلك بالسِّنواتِ، وإنَّما تُرِكَ للذِّهنِ فقط.

فائدةُ التَّعبيرِ بالحالِ في قولِهِ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾:

نسبةُ الأنبياءِ لأبوَّةِ إبراهيمَ ﷺ إظهارٌ لفضلِهِ

كما أنَّ نوحًا كانَ منَ المعلومِ أنَّه قبلَهم، فصرَّحَ بالقبليَّةِ للدَّلالةِ على هدايةِ أصولِهم، صرَّحَ هنا بأنَّ داودَ من ذرِّيَّتِهِ هو معلومٌ أيضًا، فقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ "حالٌ من داودَ، وفائدةُ هذا الحالِ التَّنويهُ بهؤلاء المَعدُودِينَ بشرَفِ أصلِهم، وبأصلِ فضلِهم، والتَّنويهُ بإبراهيمَ"[2]، فهو إثباتٌ لمسيرةِ الهدايةِ في هذا الأصلِ من نوحٍ ومرورًا بإبراهيمَ وعبورًا إلى ذرِّيَّته ﷺ، و(مِن) في قولِهِ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ بيانيَّةٌ، وقد حذفَ الفعلَ (هَدَينا) للإيجاز، والتَّقدير: (وهَدَينا من ذرِّيَّته داوودَ وسليمانَ)[3].

بلاغةُ تقديمِ الحالِ على المفعولِ به:

قدَّمَ الحالَ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ على المفعولِ به ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾؛ "للاهتمامِ بشأنِهِ مع ما في المَفاعيلِ من نَوعِ طُولٍ ربَّما يُخِلُّ تأخيرُهُ بتجاوبِ النَّظمِ الكريمِ؛ أي: وهَدَينا من ذرِّيَّته داودَ وسليمانَ"[4]، فالمرادُ التَّأكيدُ على ديمومةِ الهدايةِ منَ الأصولِ إلى الفروعِ، وليس المرادُ الاهتمامَ بمَن هدي منهم، فلذا قدَّمَ ذكرَ الذُّرِّيَّةِ على اسمِ النَّبيَّينَ ﷺ.

قدَّمَ الحالَ على المفعولِ بهِ؛ اهتمامًا بجريانِ الهدايةِ في ذرِّيَّتِهِ

مناسبةُ اقترانِ أيُّوبَ ويوسفَ ﷺ:

إنَّما ذكرَ أيُّوبَ ويُوسفَ معًا؛ "لاشتراكِهما في الامتحانِ: أيُّوبُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/171.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/338.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/316.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158.

بالبلاءِ في جسدِه، ونبذِ قومِه له، ويُوسفُ بالبلاءِ بالسّجنِ ولغُربَتِه عن أهلِه، وفي مآلِهما بالسَّلامةِ والعافيةِ، وقدَّم أيُّوبَ؛ لأنَّه أعظَمُ في الامتحانِ"[1]، وفي ذلك براعةٌ في الخطابِ؛ إذ جُبِلَتِ العقولُ على استدعاءِ المناسبةِ، وتقديمِ الحدثِ الأظهرِ، والبلاءِ الأكبرِ؛ لمراعاةِ التَّدرُّجِ في التَّصوُّرِ والمعالجةِ والحكمِ.

قرنَ بينَ أيُّوبَ ويوسفَ لاشتراكِهما في الصَّبرِ على البلاءِ الشَّديدِ

وجهُ عدمِ اقترانِ إسماعيلَ ويُوسفَ مع أبويهما:

ذكرَ اللّهُ تعالى إسماعيلَ ويُوسفَ ﷺ مفصولَين عن أبويهما؛ "إشارةً إلى فراقِ كلٍّ منهما لأبيهِ في الحياةِ، وأنَّه ما حفظَ كلًّا منهما على سُنَنِ الهدى طولَ المَدى إلَّا اللّهُ"[2].

منهجُ السِّياقِ في جعلِ التَّشابهِ في الابتلاءِ من أسبابِ الاقترانِ

مناسبةُ اقترانِ موسى وهارونَ ﷺ في الآية:

ذكرَ اللّهُ تعالى موسى وهارونَ ﷺ مقترنَين؛ "لاشتراكِهما في الأخوَّةِ، وقدَّمَ موسى؛ لأنَّه كليمُ اللّهِ"[3]، وفي ذلك براعةٌ في الإيرادِ؛ إذ كان موسى وأخوه مُتعاضدَينِ في البلاغِ، متعاونَين في الدَّعوة، وقد اعتادَ السِّياقُ في قَصصِ موسى ودعوتِه أن يذكرَهما معًا؛ لأنَّ أغلبَ ما أُمرا به، وما بادرا له في رحلتِهما الدَّعويَّةِ الشَّاقَّةِ كانا يقومان به معًا، ونموذجُ ذلك واضحٌ في قولِه تعالى على لسانِ موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: 25].

علاقةُ النَّسبِ تؤهِّلُ القريبينِ لاقترانِ في السِّياقِ

بلاغةُ الاعتراضِ بأسلوبِ التَّشبيهِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

قولُهُ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، جملةٌ اعتراضيَّةٌ "بينَ المتعاطفاتِ، والواوُ للحالِ؛ أي: وكذلك الوَهبُ الَّذي وهبنا لإبراهيمَ، والهَديُ الَّذي هَدَينا ذُرِّيَّتَهُ نَجزي المُحسنينَ مثلَه"[4]، وفائدةُ هذا الاعتراضِ: تقريرُ ما قبلَه[5]، كما أنَّه "وعدٌ منَ اللّه ﷻ

اعترضَ بينَ المتعاطفاتِ لتقريرِ صفةِ الإحسانِ وتأكيدِ عظمِ الجزاءِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/574، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/454.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/172.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/574.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/340.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158، والآلوسّي، روح المعاني: 4/202.

لَمَن أحسنَ في عملِهِ، وترغيبٌ في الإحسانِ"[1]، كما أنَّ فيه معاجلةً ببيانِ سببِ العطاءاتِ الإلهيَّةِ؛ فكلُّ مَن أحسنَ كان لهُ منَ العطاءِ ما يلائمُ مقامَهُ في الإحسانِ، فقدرُ العطاءِ على قدرِ المقامِ.

دلالةُ حرفِ التَّشبيهِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

دلالـــةُ الـكـافِ عـلى التَّشبيهِ، بوصفِهِ دالًّا على التَّماثلِ

الكافُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، بمعنى: (مِثْلَ) دالٌّ على المشابهةِ؛ "أي: ونجزي المُحسنينَ جزاءً مِثلَ ما جَزَينا إبراهيمَ برفعِ درجاتِهِ، وَكَثْرَ أولادُهُ والنُّبوَّةُ فيهم"[2]، والكافُ وصفٌ للمصدرِ المحذوفِ[3]؛ لبيانِ نوعِ الجزاءِ؛ أي: هو جزاءٌ كجزاءِ إبراهيمَ عليه السلام، وهذا يشيرُ إلى عظمةِ الجزاءِ باعتبارين: **الأوَّل**: أنَّه جعلَ جزاءَ إبراهيمَ مثالًا ومَرجعًا، يُضرَبُ به المثلُ في حُسنِ الجزاءِ وعظمتِهِ، **والثَّاني**: أنَّه لمّا كانَ جزاءُ إبراهيمَ بهذه الدَّرَجَةِ، فإنَّ الجزاءَ الَّذي يشابُهُهُ يدلُّ على عظمِ مَن سِيقَ الجزاءُ لهُ.

دلالةُ اسمِ الإشارةِ البعيدِ في: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

الإشـــارةُ إلى ما نالوه منَ الحجَّةِ والهدايةِ والبركةِ في الذُّرِّيَّةِ

اسمُ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، يشيرُ إلى "الجزاءِ من إيتاءِ الحجَّةِ، وهبةِ الأولادِ الخَيِّرينَ نَجزي مَن كانَ مُحسنًا"[4]، فالمشارُ إليه هو المصدرُ المتصيَّدُ منَ الكلامِ السَّابقِ، "وهو عبارةٌ عمَّا أُوتِيَ المذكورونَ من فنُونِ الكَرامَاتِ"[5]، آثر التَّعبيرَ باسمِ الإشارةِ الدَّالِّ على البُعدِ، إيذانًا بعلوِّ صفتِهِ وطبقتِهِ[6]، ولو قالَ: (كهذا نجزي المُحسنينَ) لفاتَ هذا المعنى، والسِّياقُ يقتضي تفخيمَ الجزاءِ، والأنسبُ لهذه الغايةِ الإشارةُ بالبُعدِ.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/316 - 317.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/171.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 5/28.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/574.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158.

علَّةُ تقديمِ المفعولِ المطلقِ المحذوفِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

التَّقديمُ لحصرِ جـزائِـهـم في الجزاءِ العظيمِ، لا جزاءً أقلَّ شأنًا منه

أصلُ الكلامِ: نجزي المحسنين جزاءً مثلَ ذلك الجزاءِ، ولكنَّه قُدِّم على الفعلِ لإفادةِ القصْرِ، والمعنى: وذلكَ الجزاءَ العظيمَ نجزي المُحسنينَ، لا جزاءً آخرَ أدنى منهُ[1].

نكتةُ إسنادِ المضارعِ إلى ضميرِ العظمةِ في ﴿نَجۡزِي﴾:

إظـهـارُ عظيمِ الـجـزاءِ واستـمـرارِهِ وتـجـدُّدِهِ، تـدلُّ عليه نـونُ العظمةِ

عبَّر ﷻ عن مجازاتِه المُحسنينَ بالفعلِ المضارعِ بصيغةِ الجمعِ؛ لأنَّه أرادَ أنَّ ذلك الجزاءَ مُتحقِّقٌ بعظمتِنا، وأنَّه ليس مُنقطعًا، بل هو مُتجدِّدٌ مُستمرٌّ، ولو قالَ: (أرفع) لفاتَ معنى التَّعظيم، واللَّامُ في قولِهِ: ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ هي لامُ العهدِ[2]، فيكون المرادُ بالمُحسنين: "أولئك المَهديِّينَ من ذرِّيَّةِ نوحٍ أو من ذرِّيَّةِ إبراهيمَ. فالمعنى: أنَّهم أحسَنُوا، فكان جَزاءُ إحسانِهم أن جَعلناهم أنبياءَ"[3].

سرُّ الإظهارِ في مَوضعِ الإضمارِ في لفظ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

الـغـايـةُ مـنَ الإظـهـارِ التَّنصيصُ على أعـلى صـفـاتِ الموصوفين

وضعُ الظَّاهرِ موضعَ المضمرِ فيه تصريحٌ بصفتِهم الَّتي نالوا بها ذلك الإكرامَ، ولو قالَ: (كذلك نجزيهم) لَمَا ظهرَ وصفُ الإحسانِ؛ فوضعَ الإظهارَ موضعَ الإضمارِ "للثَّناء عليهم بالإحسانِ الَّذي هو عِبارةٌ عنِ الإتيانِ بالأعمالِ الحَسَنةِ على الوجهِ اللَّائقِ الَّذي هو حُسنُها الوَصفيُّ المُقارنُ لحُسنِها الذَّاتيِّ"[4].

المتشابهُ اللَّفظيُّ:

بينَ ذكرِ الهدايةِ في سـورةِ الأنـعـامِ، وذكرِ الصَّلاحِ في سورةِ الأنبياءِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾ [الأنعام: 84]، وقولُهُ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ [الأنبياء: 72]، لِمَ خُصَّت كلُّ آيةٍ بما فيها بعدَ قولِهِ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158، والآلوسّي، روح المعاني: 4/202.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/340.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158، والآلوسّي، روح المعاني: 4/202.

وَيَعۡقُوبَۚ﴾؟ والجواب: أنَّ آيةَ الأنعامِ بُدِئَت بقولِهِ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾، فلمَّا كان قولُهُ: ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾ شديدَ الاتِّصال بما سبقه؛ لأنَّه أشبهُ بالتَّأكيد له؛ ناسبَه الفصلُ، ولمّا كانَ يسبقُ ذلك قولُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، وكان إبراهيمُ ﷺ قد طلبَ الهدايةَ من ربِّه؛ ناسبَه قولُه: ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾، أمَّا آيةُ الأنبياء فيسبقُها قوله: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء: 70 - 71]، فلمَّا كان ذلك جزاءً وفاقًا، لما أرادَه به أعداؤه، وكانتِ الهبةُ زيادةً على ذلك، ناسبَه ذكرُ نافلةٍ، ولمّا كان الجمعُ بين النِّعمِ أدلَّ على زيادةِ الإنعامِ ناسبَه العطفُ بالواوِ، ولمّا كان الكيدُ لأولياءِ اللهِ إفسادًا ناسبَه أن تكونَ الذُّرِّيَّةُ صالحةً بقولِهِ: ﴿وَكُلًّا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ [الأنبياء: 72].

التَّشابُه في ذكرِ جزاءِ المُحسنينَ في سورتي الأنعام والصَّافّات

قولُهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾ [الأنعام: 84]، وقولُهُ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ [الصّافّات: 110] لمَ خُصَّت كلُّ آيةٍ بما فيها منَ الفصلِ والوصلِ؟ والجوابُ عن ذلك أنَّ آيةَ الأنعامِ بدأت بقولِهِ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ﴾؛ فلمَّا كانَ التَّقديرُ كذلك جزيناهم لإحسانِهم؛ ناسبَه العطفُ عليهِ بما يفيدُ العمومَ بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، أمَّا آيةُ الصَّافّات فيسبقُها قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ [الصّافّات: 109]؛ فلمَّا كان بين هذا القولِ، وقولِه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصّافّات: 110] اختلافٌ في الأسلوبِ؛ لأنَّ القولَ الأوَّلَ خبريٌّ لفظًا إنشائيٌّ معنًى، والقولَ الآخر خبريٌّ لفظًا؛ ناسبَه الفصلُ بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾ [الصّافّات: 110].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الهبة) و(العطاء):

الهبةُ: تمليكُ الشَّيء لغيرِك بغير عوضٍ، ومن غيرِ ثمنٍ، والعطاءُ ليس كذلك

"الإعطاءُ: هو اتِّصالُ الشَّيءِ إلى الآخذِ له؛ ألَا ترى أنَّك تعطي زيدًا المالَ ليردَّه إلى عمرو، وتعطيه ليتَّجرَ لك به، والهبةُ تقتضي التَّمليكَ؛ فإذا وهبتَه له فقد ملَّكتَه إيَّاه"[1]، والهبةُ: تمليكُ الشَّيءِ لغيرِكَ بغيرِ عوضٍ، ومن غير ثمنٍ، ومن غير استحقاقٍ عليه، فهي تفضُّلٌ منَ اللهِ على خلقِه[2]، فكانَ التَّعبيرُ في الآية بالهبةِ أدقَّ؛ لأنَّه محضُ عطاءٍ منَ اللهِ تعالى بلا وجوبٍ عليه تعالى، وبلا ثمنٍ، ومن غير استردادٍ، بل على وجهِ التَّمليكِ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 167.

(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وهب)، والرّاغب، تفسير الرّاغب: 2/432.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»